الرسائل المدنية

١١

آداب زيارة المسجد النبوي

والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

تأليف

فضيلة الشيخ عطية محمد سالم

مكتبة دار التراث

المدينة المنورة - ص.ب ١٦٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

آداب زيارة المسجد النبوي

والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

طبعة دار التراث الأولى

مكتبة دار التراث

المدينة المنورة

شارع الأمير عبد المحسن (قربان) ص ب ١٦٤٧

تلفون ٨٢٦٥٤٥٢

مُقدّمَة المؤلّف

تحية واستقبال

أيها الحاج الكريم، أيها الوافد الفاضل إلى طيبة الطيبة، طبت وطاب مقامك، وأهلاً بك في دار الهجرة هجرة حبيبك والمهاجرين الأوّلين، وديار الأنصار الذين تبوؤا الدارَ والإيمان من قبلهم يُحبون من هاجر إليهم.

أهلاً بك أخي المسلم، قدمت خير مقدم، ونزلت أرحب منزل، وحمداً للّه على سلامة وصولك، وشكراً للّه على بلوغك مأمولك، وسدَّد الله خطاك، ووفّقك لكل خير في مقدمك ومسعاك.

وبعد أيها الوافد الفاضل، إن رحلتك هذه السعيدة ليسعى إليها كل محب، ويتطلع إليها كل مشتاق، ليمتع أنظارَه بطيب مناظرها، ويسعى بأقدامه في أرجاء مآثرها، يستعيد التاريخ من مطلع البدر عليها، ويستذكر تنزل الوحي إليها في المسجد الذي تُشدُّ الرحال إليه، وتتنزّل البركات عليه، تتضاعف فيه الصلاة بألف فريضة وسنّة،

وتعطره روضة من رياض الجنة، وبجانبها حجرة الصديقة أم المؤمنين، سمت على الفردوس في عليين لما اختارَها الله لخاتم المرسلين، وجاوره بها من الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق نعم الوزير ونعم الرفيق، لم يفارقه ليل نهار، وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأبو حفص عمر الفاروق، أعزَّ الله به الإسلام، وقام في الأمة خير قيام.

مواطن تورث البهجة، وتثير الدهشة، وتجعلك أيها الزائر الكريم في حاجة لمن يصحبُك مدة إقامتك يرشدك إلى ما تريد، ويوضح لك ما يخفى عليك، مما تحب أن تقف عليه وتلم به مما ينفعك في عاجل أمرك وآجله، وتحظى بطيب الجوار وفضل المقام.

وقد رافقناك في أداء مناسك الحج نقتفي آثار المصطفى ﷺ في حجة الوداع سائلين الله أن يجعلها حجة مبرورة ومساعي حميدة مشكورة.

وها نحن بالمدينة المنورة نتلقاك لنرافقك مدة إقامتك وسنرافقك برفق ونصحبك بلطف ونوجهك بنصح، لما لك علينا من حق، وعلينا في ذلك من واجب، فهَلمَّ معنا على بركة الله.

منزلة هذه الزيارة

أولاً: لنتحدث معك عن منزلة هذا العمل وثمرة هذه الرحلة المباركة لتكون على بيّنة منها وتوطن نفسك عليها.

فاعلم أولاً أنها ليست فرضاً عليك، ولكنها فضل من الله ساقه إليك، وإن مقدمك إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لفضل الصلاة في مسجده ﷺ، وشرف السلام على سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه وعلى صاحبيه الصديق والفاروق رضوان الله تعالى عليهما ورحمته وبركاته، وعلى آل بيته وصحابته الطيبين الطاهرين؛ لهي من أعظم القرب إلى الله تعالى باتفاق المسلمين. سواء كانت مع رحلة الحج أو كانت في رحلة مستقلة فإنها لتشد إليها الرحال، وينفق فيها اليسير والكثير من المال، كما قال ﷺ: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:

مسجدي هذا، والمسجد الأقصى، والمسجد الحرام» وفضلُ الصلاة في مسجده ﷺ بألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والفضل الذي لا يسامى، والشرف الذي لا يدانى في كرامة الله للزائرين الذين يُسَلِّمون على النبي ﷺ فيردّ الله تعالى عليه روحه فيرد عليهم السلام.

ثم إنك بمقدمك هذا تجدد عهدك بسلف الأمة الذين آووا ونصروا. وتخطو بأقدامك في ربوع تلك الديار التي جمعت خير أمة أخرجت للناس، من المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، أولئـك هم الصادقون. وتشاهد منازلَ وديارَ الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

هذه هي ديار أولئك الأبرار، فلتكن خطواتك فيها ائتناس، وخطراتُ نفسك فيها اقتباس، ومدارستك فيها إحياء لما اندرس عندك من سنّة نبيك ﷺ، وتجعل ما استطعت سيرة أهلها الأولين نهج حياتك الأفضل،

وتعود إلى أهلك ما استطعت المسلم الأمثل.

ولنا معك جولة في رحابها، ومواقف على معالمها، مما ثبت أنه ﷺ قد أتاها، وسنتحدث معك عن كل موطن عند الوصول إليه إن شاء الله.

ثانياً: اعلم أن لهذه الزيارة آداباً بها تتحقق أهدافك وتصل إلى غايتك.

نقدم لك أهمها فيما يأتي بعون الله.

عند مقدمك إلى المدينة

نبدأ معك من حين وصولك إلى المدينة المنورة:

قبل أن تطأَ قدماك أرض المـدينة تتـراءى لك معالمها، سواء كنت في الجو بالطائرة أو بالبر بالسيارة ولا شك أن أول مشاهدتك لتلك المعالم تثير شعورك وتزكي شجونك، فتتملكك العاطفة وتود لو طرت إليها بجناحي الشوق والاشتياق.

ولم تكد تصبر حتى تصل فلربما تطغى عليك العاطفة فلا تلام ولا تعاتب على ذلك، فلربما كان ﷺ إذا دنا من المدينة أسرع المسير إليها، ولكن يجب أن لا تترك للعاطفة العنان كما يفعل بعضُ العوام فيصفق أو يُهلل والنسوة يزغردن، وكل ذلك مغاير لما يجب، بل تُكبر وتسبح، وتحمد الله وتصلِّي وتسلِّم على رسول الله ﷺ.

وبعد دخولك المدينة

هل تعمد إلى المسجد النبوي للسلام على رسول الله ﷺ أم إلى منزلك لتؤمن متاعك وتصلح من شأنك بعد طول سفر؟

لقد حدث هذا وذاك من وفد عبد القيس إلى المدينة سنة تسع عام الوفود فيما تحكيه كتب السيرة:

بينما رسولُ الله ﷺ يُحدِّث أصحابه إذ قال لهم: ‹سيطلعُ من هاهنا ركبٌ هم خيرُ أهل المشرق. فقام عمر فتوجَّه نحوَهم، فتلقى ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم؟ فقالوا: من بني عبد القيس. قال: فما أقدمَكم هذه البلاد؟ التجارة؟ قالوا: لا. قال: أما إن النبيَّ قد ذكركم آنفاً، فقال خيراً. ثم مشوا معه، حتى أتوا النبيَّ ﷺ، فقال عمر للقوم: وهذا صاحبُكم الذي تُريدون، فرمى القومُ بأنفسهم عن رِكابِهم، فمنهم من يمشي،ومنهم من يهرول، ومنهم من يسعى، حتى أتوا رسولَ الله ﷺ، فأخذوا بيده فقبَّلُوها.

وتخلّف الأشجُّ في الركاب حتى أناخَها، وجمع متاعَ القوم، ثم أخرجَ عيبتَه، وأخذ ثوبين أبيضين فلبسَهما، ثم جاء يمشي حتى أخذَ بيد رسول الله ﷺ فقبَّلها. فقال له رسول الله ﷺ: «إن فيك خِلّتين

يحبُّهما اللهُ ورسولُه: الحِلْمُ والأناة». فقال: جبل جبلت عليهما أم تخلقا مني؟ قال: بل جبل. فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يُحبُّ الله ورسوله.

وفي بعض الروايات أن النبيَّ ﷺ لما رآه مقبلاً أفسحَ له مكاناً بجانبه وأدناه منه ثم قال له ذلك.

فهذا الوفد حملَه الشوق على أن ألقوا بأنفسهم عن رواكبهم وتركوها غير معقلة، وتركوا أمتعتهم غير مرتبة، وأسرعوا إلى رسول الله ﷺ ما بين مهرول وماش، ومن يسعى سعياً، فما لامهم ولا عتب عليهم. ولكن أفهمهم بلطفٍ في ملاطفته لصاحبهم وامتداحه على الحلم والأناة.

وهذا الأشجُّ كبحَ جِماح العاطفة، والتزمَ الحِلْمَ والأناة، فعقلَ الإبلَ حفظاً من التسيب، وجمع متاع أصحابه ورتَّبه حفاظاً عليه من الضياع، وعمد إلى ما يجمله ويذهب عنه وعثاء السفر وتفثه، ليقدم على رسول الله ﷺ بكل حفاوة وإجلال، فاستخرج خير ثيابه وبالتالي اغتسل أو تغسل، ثم مشى مشية الحليم المتأني حتى أتى مجلس رسول الله ﷺ وهو على أحسن ما يستطيع لذلك، فكان منه ﷺ أن أشار بعمله هذا أو أثنى عليه أمام رفقائه بما يوضح لهم المنهج

الأفضل في ذلك.

وهكذا أنت أيها الزائر الفاضل أولى لك أن تبدأ بمنزلك ومحل سكنك، وتؤمن متاعك وتبدل ثيابك، وتأتي إلى المسجد النبوي الشريف، وأنت على أحسن ما يتيسر لك من حسن الهيئة وحسن السمت.

عند دخول المسجد

فإذا وصلت إلى باب المسجد، فإنَّ السنة أن تقدمَ رجلك اليمنى، وتقول: بسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج قال: بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبـواب فضلك. ولمسلم والنسائي ما يبين أنها سنة الدخول لكل مسجد، لما روي عنه ﷺ أنه قال: «إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فليقلْ اللهم افتحْ لنا أبوابَ رحمتِك، وإذا خرجَ قال: اللهم إني أسألُك من فضلِك» والأفضل أن يجمعَ بين التسمية والصلاة والسلام على رسول الله.

وجاء أيضاً أنه ﷺ كان إذا دخلَ المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وقال: فإذا قال ذلك قال الشيطان

حُفظ مني سائر اليوم».

مجمل الدعاء عند دخول المسجد: هو: بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك. أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

بعد الدخول إلى المسجد تأتي بتحية المسجد

عملاً بقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يُصلِّي ركعتين» وهذه سنّة لكل مسجد، فإذا صادفَ دخوله وجود صلاة فريضة فصلَّى الفريضة أجزأته عنها.

والداخل إلى المسجد النبوي للسلامِ على رسول الله ﷺ وإن كان لن يقعد إلا بعد أن يُسلِّمَ فلا يذهب للسلام حتى يُصلِّيَ التحية، لحديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أنه دخلَ المسجدَ فوجدَ النبيَّ ﷺ جالساً بين أصحابه، فجلسَ معهم، فقال له النبيُّ ﷺ: «ما منعكَ أن تركعَ ركعتين قبلَ أن تجلس؟»

قال: رأيتُكَ جالساً والنَّاسُ جلوس. فقال ﷺ: «إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فلا يجلسْ حتى يُصلِّيَ ركعتين». وقد أمرَ النبيُّ ﷺ الرجلَ الذي دخلَ والنبيُّ: يخطبُ فجلسَ قبلَ أن يُصلِّي فقال له: «قم فاركعهما وتجاوز فيهما».

وجاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قدم من سفر فجاء إلى رسول الله ﷺ يُسلِّمُ عليه وهو بفِناء المسجدِ، فقال: «أدخلتَ المسجدَ فصليتَ فيه؟» قال: قلت: لا. قال: «فاذهبْ فادخلِ المسجدَ وصلِّ فيه ثم ائتِ فسلِّم عليَّ».

ولهذا كانت تحية المسجد قبلَ السَّلام على النبيِّ ﷺ ولو لم يجلس قبلَها، وأكَّد العلماءُ ذلك بأن تحيَّةَ المسجد حقٌّ للّه تعالى، والسلام على النبي حق للنبي ﷺ، وحق الله مقدم على حق غيره.

أين يُصلِّي تحيّة المسجد؟

كلُّ قادم إلى المسجد النبوي تدفعُه الرغبة إلى الصلاة في الروضة المطهرة، وهذا واضح، فإن كانت خالية ولا زحامَ فيها فلا مانع من ذلك، أما إذا كانت مزدحمة ولا تتأتى الصلاةُ فيها إلا بمزاحمةِ المصلين

والمرور بين أيديهم ومدافعة بعضهم لبعض، وبخاصة مع وجود النساء فلا ينبغي أن يزاحمَ عليها، وليصلِّ تحية المسجد في أي مكان تيسر له منه، وقد ذكرتُ في ركعتي[1] الطواف أن السُّنة فيها خلف المقام، فإذا كان زحاماً صلَّاهما حيثُ أمكن من المسجد، فهكذا هنا، بل هنا أولى، لعدم التنصيص على مكان معين.

فإذا صلَّاهما مشى بسكينةٍ ووقار إلى جهة المواجهة للسَّلام على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه الكريمين رضوان الله تعالى عليهما وعلى صحابته أجمعين، ملتزماً آداب الزيارة على ما سنوضحه لك إن شاء الله.

* * *

---

(١) انظر رسالة «مع الرسول ﷺ في حجة الوداع».

آداب الزيارة وكيفية السَّلام على رسول الله ﷺ وعلى صاحبيه

أولاً: أين وكيف يقف للسَّلام على رسول الله ﷺ؟

أما أين يقف فقد اتفقوا على أن من أراد السَّلامَ على رسول الله ﷺ وصاحبيه فليأت إلى المواجهة الشريفة سواء جاء من جهة باب السلام أو من جهة باب جبريل، فيقف مستقبلاً الحجرة الشريفة في مقابلة النبي ﷺ، وذلك في منتصف الشباك الأوسط، جاعلاً القبلة خلفَه على الأصلِ في آداب المحادثة، غيرِ ملاصقٍ للشبك ولا مجافياً له. فإن كان الزحام شديداً فليؤخرِ إلى ساعةٍ أقل زحاماً.

أما كيف يقف فليس هناك كيفية منصوصة، إلا الكيفية التي تتم عند التوقير والإجلال، بدون أن يكونَ في هيئة ما هو من هيئات الوقوف بين يدي الله، فلا ينحني كهيئة الراكع ولا شبهه، ولا يضعُ يدَه اليمنى

على يده اليُسرى كهيئة الصلاة، لأن ذلك كله للّه تعالى، وما كان للَّهِ فلا يصحُّ لغير الله، ولا يرضاهُ رسولُ الله ﷺ.

ماذا يقول في السَّلام على رسول الله ﷺ؟

الأصلُ في ذلك ما جاء في تحيّة الإسلام: السلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته، وقد جاء في آداب السَّلام عامة أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ وهو مع أصحابه، فقال: السَّلام عليكم. فقال ﷺ: «عَشْرٌ» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال ﷺ: «عشرون» فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ﷺ: «ثلاثون» فقالوا: يا رسول الله ما عشرٌ؟ وما عشرون؟ وما ثلاثون؟ فقال: «الأول قال: السلام عليكم، فهي كلمة، وهي حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، والآخر زاد ورحمة الله فكان له عشرون، والآخر زاد ثالثة، فكان له ثلاثون».

وأورد النووي أن عبد الله بن عمر كان يقتصرُ على ذلك، ونحن في التشهد في صلاتنا نقول: السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاته ولا تنسَ ما تقدَّم

من أن الواجب علينا الآن هو ما كان واجباً على أصحابه معه، ولم يكونوا يزيدون على ذلك.

ولكن كما أسلفنا أيضاً أن للقادم فرحة وفي نفسه بهجة وفي قلبه تلهف كمن لقي غائباً طالت غيبته، فإن سلامه عليه لن يكون كسلامه على من لم يغب عنه، ولذا فإن البعض يزيد عبارات مقبولة كقولهم: السلام عليك يا خيرَ خلق الله، يا خاتم رسل الله، أشهدُ أنك بلَّغت الرسالة وأديت الأمانة، وجاهدت في الله حقَّ جهاده، اللهم آتِه الوسيلةَ والفضيلةَ والدرجةَ العالية الرَّفيعة، ونحو ذلك مما هو حق وثابت له ﷺ، والتأسي بالسلف كله خير وبركة.

السلام على أبي بكر رضي الله عنه:

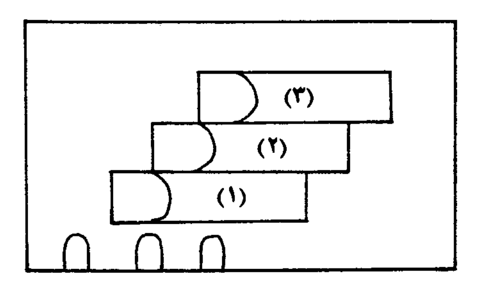
ثم ينتقل إلى اليمين قدر ذراع فيسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يُسلِّم فيقول: السلام عليكَ يا أبا بكر الصديق ورحمة الله وبركاته.

وبعض الناس يزيد قوله: يا خليفةَ رسول الله، يا من أنفقت مالك كلَّه في سبيل الله، يا ثاني اثنين إذ هما في الغار، أشهد بأنك نصحتَ للأمة، ونحو ذلك.

السلام على أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه):

ثم تنتقلُ قدر ذراع إلى اليمين وتسلِّم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان ابن عمر إذا سلَّم عليه يقول: السلام عليك يا أبتي. وبعضُهم يزيد فيقول: السَّلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب يا من نطقت بالحق والصواب، يا من سويت بين الرعية، وقسمت بالسوية، أشهدُ أنك أديت الأمانة وأرضيت ربَّك، ونحو ذلك.

وسبب الانتقال إلى اليمين ذراعاً ثم ذراعاً هو وضع الخلفاء مع النبي ﷺ هكذا:



رأس أبي بكر عند كتف رسول الله ﷺ، ورأسُ عمر عند كتف أبي بكر رضي الله عنهما، وأنت تقفُ أولاً تجاه رسول الله ﷺ في محاذاة الوجه الشريف، ثم تنتقل إلى اليمين قدرَ ذراع ليكونَ موقفك تجاه وجه أبي بكر رضي الله عنه وهكذا.

الموقف للدعاء:

يعتبر العلماء سلامك هذا على الرسول ﷺ وصاحبيه من أفضل القرب إلى الله، يكون الدعاء عقبها مظنة الاستجابة، فإذا اجتمع فضلُ السلام وفضيلة المكان كان أعظم في الرجاء، ولكن للدعاء آدابه لأنه توجه إلى الله تعالى بالسؤال والطلب، وأهم آدابه استقبال القبلة، لأنها سنّة العبادات كلها، والدعاء مخ العبادة، وكذلك الإخلاص والإنابة إليه سبحانه والإلحاح في الطلب، وتدعو وأنت موقن بالإجابة. ولهذا عليك بعد الفراغ من السلام كما تقدم أن تتجه إلى القبلة وتتخيَّر مكاناً خالياً من الزحام، أهدأُ لنفسك وأجمعُ لفكرك وأكثر طمأنينة لقلبك، ثم ترفع أكف الضراعة إلى مولاك، وتسأل كل ما ترجوه وتؤمله، ولا تستعظم على الله شيئاً، ولا تستح أن تسألَ الله القليل والكثير، فقد جاء عن نبي الله موسى: أنه قال: يا ربِّ إنه لتبدو لي الحاجة وأستحي أن أسألَك، فقال الله له: يا موسى! سلني كل شيء، سلني مِلْحَ عجينك، وعَلَفَ دابَّتِك، وشِراكَ نعلك. وليس الأمر مرتبطاً بما تقرأ من كتاب الدعاء، ولا ما تردده وراء دليل من الأدلاء، بل انظر حاجتك من حوائج الدنيا والآخرة، وأعظمها الشفاعة وورود الحوض. فتقول: اللهم

ارزقني شفاعة نبيك محمد ﷺ، وأوردني حوضه واسقني من يده شَربة هنيئة لا نظمأ بعدَها أبداً، اللهم وفقنا لاتباع سنته وأحينا وأمتنا على مِلّته، واهدنا صراطَك المستقيم، حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا.. إلى آخر ما هناك من دعوات صالحة لك ولأحبابك وأهلك وأولادك وعموم المسلمين.

ولا تنسَ أن تختم دعاءَك بالصَّلاة على النبيّ ﷺ فإنه حري أن يُستجاب لك.

إبلاغ السلام لرسول الله ولصاحبيْه

وهو أن بعض الناس لفرط اشتياقهم لرسول الله ﷺ إذا رأى إنساناً امتن الله عليه بالسفر إلى المدينة سواء سفراً مستقلاً أو مع الحج. قالوا له: سلِّم لنا على رسول الله ﷺ أو «أبلغه عنا السلام» فهل يقوم الإنسان بإبلاغ السَّلام أم لا؟

يرى كثير من العلماء أنه يبلِّغه، وأن عمر بن عبد العزيز كان يُرسل البريدَ بالسلام على رسول الله.

وعليه فبعد أن تسلِّم على رسول الله ﷺ وقبل أن تنتقل للسلام على أبي بكر تقول: السَّلامُ عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، السَّلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاته.

ثم بعد أن تُسلِّمَ على أبي بكر تقول: السَّلامُ عليك يا أبا بكر الصديق من فلان بن فلان ورحمة الله وبركاته وهكذا عمر رضي الله عنه.

وبعض العلماء لا يرى ذلك، ويقول: صحَّ الحديث عنه ﷺ بأنه قال: «صَلُّوا عليَّ حيثُ كنتم؛ فإن للّه ملائكة سيَّاحين يبلغونني عن أمتي السلام».

فقالوا من أراد الصلاة والسلام عليه ﷺ فليصلِّ وليُسلِّم حيث هو، فإن الملائكة المختصين بذلك سيبلِّغونه، والراجح الأول إن شاء الله.

التردد على المواجهة وتكرار الزيارة

ينقسم الناس في ذلك إلى قسمين: قسم مقيم ومواطن في المدينة، سواء كان من أهلها أو ساكن فيها لغير الزيارة، وقسم وافدٌ إليها مدة يسيرة ويرحل عنها.

وقد نقل عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله التفصيل والتفريق بين القسمين؛ فكره لأهل المدينة أنه كلما دخل أحدُهم إلى المسجد أن يقف ويُسلِّم، أي في المواجهة، وقال: إنما ذلك للغرباء. وقال: لا بأس لمن قدم منهم، أي من أهل المدينة من سفر أو خرجَ إلى سفر أن يقفَ عند قبر النبيِّ ﷺ فيُصلِّي عليه،

ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، نقل ذلك النووي في منسكه.

وقال الباجي فرّق مالك بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمين فيها.

ونقل القاضي عياض في «الشفاء» قول مالك في كتاب محمد: ويُسلِّم على النبي ﷺ إذا دخل وخرج يعني في المدينة، وفيما بين ذلك. وقال مالك في «المبسوط»: وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء. وقال فيه أيضاً: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرجَ إلى سفر أن يقف عند قبر النبي ﷺ فيصلِّي عليه، ويدعو له ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

فقيل له: إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يُريدونه، ويفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام الأخرى المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلِّمون ويدعون ساعة. فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركُه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوَّلَها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده.

ونقل عن الشافعي: قال ابن عجلان لبعض الأمراء: إنك تطيل ثيابك، وتطيل الخطبة، وتكثر المجيء إلى قبر رسول الله ﷺ. وسئل عن القريب فقال: قد أكثر الناس من هذا فإذا لم يمر عليه فهو في سعة من ذلك. وسئل عن القريب يأتي قبرَ النبي ﷺ كلَّ يوم، فقال: ليس من الأمر، ولكن إذا أراد الخروج، أي: يأتي للوداع عند الخروج.

والخلاصة:

والخلاصة أن العلماء يفرقون في تكرار الزيارة للموجود بالمدينة بين المقيم الساكن بها، وبين الوافد القادم إليها، وحكم كل منهما هو عدم استحباب التكرار والتزامه، وأن للمقيم عند السفر وعند العودة من سفر.

وللقادم عدم الإكثار كل يوم، وله في الأمر سعة.

وللجميع من مقيم وقادم أنه إذا مرَّ من المواجهة في طريقه إلى الصلاة أو خروجه من المسجد، أن كلَّ من مَرَّ من هناك فإنه يُسَلِّم عند مروره، ولو لم يقف في المواجهة.

والأصل في ذلك هو فعل ابن عمر رضي الله

عنهما، كان إذا أراد سفراً أو قدم من سفر جاء فوقف في المواجهة وسلَّم.

وكذلك نقل عن مالك في شرح «العتبية» لابن رشد أنه سئل عن المار بقبر النبي ﷺ أترى أن يُسلِّم كلَّما مرَّ قال: نعم، أرى ذلك عليه أن يُسلِّم كلما مرَّ به، وقد أكثر الناس من ذلك، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك.

* * *

فصـل فـي
آداب عامة أدَّبَ الله بها المؤمنين
في حق رسول الله ﷺ

لقد أدَّبَ الله تعالى المؤمنين في حق رسول الله ﷺ آداباً عامة أينما كانوا، وفي حالات متعددة لرسول الله ﷺ، وجوانبه المتعددة التي هي:

١ ـ جانب الرسالة والتبليغ عند الله تعالى.
٢ ـ جانب النبوّة وكرامته عند الله.
٣ ـ جانب بيته كربِّ أسرة.
٤ ـ جانب غيبته عنهم.

وكل هذه الجوانب مع تعددها فقد اشتملت عليها أوائل سورة الحجرات التي تُعدُّ بحق سورة الآداب، آداب المؤمنين مع الله، ومع رسول الله، ومع الناس جميعاً حاضرهم وباديهم. نسوق مجملها تتمة لآداب الزيارة، وبياناً لعموم التأدب معه ﷺ. والسورة الكريمة

سورة الحجرات بدأت بحق الله تعالى وعطفت عليه حقَّ الرسول ﷺ، وهو ما نعنيه بجانب الرسالة، لأن الرسالة إبلاغ عن الله تعالى.

١ ـ فقال تعالى:

﴿يأَيها الذين آمنوا لا تقدِّمُوا بين يدي الله ورسوله واتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سميعٌ عليم﴾ [الحجرات: ١].

فنهى المؤمنين أن يقدِّموا بين يدي الله في التشريع، وبين يدي رسولِه في التبليغ بأي أمر كان في الدين سواء على ما جاء في كتاب الله أو في سنّة رسول الله، وألزَمهم بالاتباع ونهاهم عن الابتداع. وقد بيَّن في آية أخرى أن من تقدم بأمر في الدين لم يشرعه الله أنه يكون كمن نصبَ نفسَه شريكاً مع الله، لما في قوله تعالى: ﴿أم لهم شُركاء شَرَعوا لهم من الدين ما لم يأذنْ به الله﴾ [الشورى: ٢١] لأن أمر الخلق إنما هو للخالق وحده، كما قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ [الأنعام: ٥٧] فلا يحق لأحد قط أن يشرِّع للخلق ولا يدّعي أن له حقاً في ذلك.

أما الرسول ﷺ فهو مبلِّغ عن الله وما أمر به فهو عن الله كما قال تعالى:

﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣ ـ ٤] ولذا ألزم الأمة بالأخذ بما جاء به والكف عما نهى عنه كما في قوله تعالى: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] ولذا قال ﷺ: «كل أمر ليس عليه أمري فهو رد». أي مردود وهذا الباب هو أصل الاتباع وعنوان المحبة الصادقة وبه حفظ الدين وعليه قوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنّة الخلفاءِ الراشدين عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكُم والمحدثات في الدين، فإنَّ كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وعلى الأمة كلها عند التنازع فيما بينها أن تردَّ الأمر للّه ولرسوله. ورده للّه إلى كتابه الذي قال تعالى عنه: ﴿ما فرَّطْنَا في الكتابِ من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] وإلى رسوله ومن بعد حياته إلى سنته. وقد قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؛ كتابَ الله وسنتي». وقال ﷺ: «ألا إنه قد أُوتي كلُّ نبي ما على مثله آمنَ البشرُ، وقد أُوتيت الكتابَ ومثلَه معه» يعني سنته، وهي المفسرة والمبينة لما أُجمل في كتاب الله تعالى.

٢ ـ ثم يأتي كالأدب في حقه ﷺ في جانب النبوة،

وهذا الجانب شديد الارتباط بموضوع الزيارة، فقال تعالى:

﴿يأَيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولا تَجْهَرُوا له بالقوْلِ كجهرِ بعضِكُم لبعضٍ أنْ تَحْبط أعمالكُم وأَنتُم لا تَشْعُرون﴾ [الحجرات: ٢].

وهذا الأدب عام في الزيارة وغيرها، فكانوا لا يرفعون أصواتهم حين التحدث معه، ولو كان بالسلام أو الكلام، بل ولا يرفعون أصواتهم بحضرته ولو بتلاوة القرآن، فكان عمر إذا حدّث رسول الله ﷺ يكون حديثه أخو السِّرار، أي كأنه يُفضي إليه بسر، حتى إن رسول الله ﷺ ليقول له: «ارفع صوتك أسمع قولك». وذلك مخافةً منه أن يحبطَ عمله برفع صوته عند رسول الله.

فكذلك اليوم عند السلام عليه ﷺ بل وعند مجالس دروس أحاديثه الشريفة توقيراً لها، وفي مسجده لئلا يدخل في مضمون هذه الآية.

وقد جاء عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلين يتحدثان بصوت مرتفعٍ، فقال: عليَّ بهما. فجيء بهما ترعد فرائصهما خوفاً من عمر. فلما رآهما، قال: أغريبان أنتما؟ قالا: نعم، من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل هذه البلدة لأوجعتكما ضرباً، أترفعان

أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟!

وجاء عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله، أنه لما كثر الناس في المسجد حوله في الدرس، قيل له: اتخذ مبلِّغين يُبَلِّغون عنك ما تقولُ لمن في أطراف المجلس. قال: لا، إني لأخشى أن أدخلَ في هذه الآية ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية.

وكان يقول: إن حرمته ﷺ ميِّتاً كحرمته حيّاً.

ولهذا فإن على كل من أرادَ أن يُسلِّم على رسول الله ﷺ في المسجد أن يأتي إلى المواجهة ويُسلِّم بصوت يُسمع نفسَه فقط، ولا يرفعُ صوتَه مخافة أن يحبطَ عملُه وهو لا يشعر.

٣ ـ ثم بيَّن سبحانه أن غضَّ الصوت عند رسول الله ﷺ من تقوى القلوب، وما لهم في ذلك عند الله، فقال:

﴿إِنَّ الذينَ يغضُّون أصواتَهم عندَ رسولِ الله أُولَٓئكَ الذينَ امتحنَ الله قلوبَهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم﴾ [الحجرات: ٣].

٤ ـ ثم جاءَ الأدب معه ﷺ في بيته مع أسرته، وحرمة بيته صلوات الله وسلامه عليه، فقال تعالى:

﴿إنَّ الذينَ يُنادونَكَ من وراءِ الحُجُراتِ أكثرُهُم لا يَعقلون * ولو أنَّهم صَبَروا حتى تخرجَ إليهم لكانَ خيراً لهم والله غفورٌ رحيم﴾ [الحجرات: ٤ ـ ٥].

والحجراتُ جمع حجرة، وهي ما بُني على وجه الأرض بدون تكرار، والغرفاتُ جمع غرفة وهي ما بني فوق الحجرة، أي الطابق العلوي. فإذا كان البيت من طابقين قيل للطابق السفلي حجرات وللطابق العلوي غرفات. فكان مسكن رسول الله ﷺ حجرات، أي طابقاً واحداً. مع أنه كان بالمدينة بعض البيوت من طابقين، كما جاء في بيت أبي أيوب رضي الله عنه لما نزل عندَه رسول الله ﷺ في أول مجيئه في الهجرة، وقبلَ أن يبنيَ مسكنَه.

وسبب نزول الآية الكريمة أن قوماً أتوا المسجدَ ساعة القيلولة بين الظهر والعصر، فلم يجدوا رسول الله ﷺ بالمسجد، ولم يصبروا حتى يخرج من بيته فنادوه من وراء الحجرات: أن أخرجْ إلينا نحادثك. فعاب الله عليهم ذلك وعاتبهم فيه. لأنه ﷺ لم يكن يحتجبُ عن الناس في الأوقات العادية، ولأنه يخرج لزوماً للصلوات الخمس. ووقتُ القيلولة حق له ولآل بيته، كما هو حقٌّ عام لكل إنسان، فما كان لهم أن

يُنادوه فيما ليس ملجئاً لذلك، حيث كان مجيئهم لمفـاداة أُسارى لهم عنـد المسلمين، ولكنهم كما وصفهم الله أكثرُهم لا يعقلون، والله يدافع عنه في حق بيته، ومثلُه ما جاء في قوله تعالى:

﴿يٰأيها الذين آمنوا لا تَدْخلوا بيوتَ النَّبي إلا أَن يؤذن لكم إلى طعام غير نٰاظرين إِنٰـه ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مُستئنسين لحديثٍ إنَّ ذٰلكم كان يؤذي النبيَّ فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ـ إلى قوله ـ وما كان لكم أن تُؤذوا رسولَ الله﴾ [الأحزاب: ٥٣ ـ ٥٤].

أي: لا في داخل بيته ولا في خارجه.

ومعلوم أن من وافر الأدب أن لا تنادي إنساناً من وراء مسكنه، بل إذا كانت لك إليه حاجة جئت إلى الباب وطرقت برفق فـإن أذن لك دخلت وإلا رجعت، مع مراعاة الأوقات المناسبة لذلك. وهذا في حق عامة الناس فما بالك مع سيّد الخلق ﷺ.

ولهذا يخشى على أولئك الذين يقفون من بعيد، ويتجهون إلى جهة الحجرة، ويُسلِّمون على رسول الله ﷺ لتفريطهم في حقـه ﷺ بعد الحضـور إلى المواجهة ويُسلِّمون كما تقدم.

٥ ـ ثم يأتي الأدب في حقه ﷺ حال غيبته عنهم، حيث أن الله سيخبره بما يكون منهم فكأنه حاضر عندهم.

وذلك في قوله:

﴿يٰأَيُّها الذين آمنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيَّنوا أنْ تُصيبوا قوماً بجهٰالة فتُصبِحُوا على ما فعلتم نٰادمين ۞ واعلموا أنَّ فيكم رسولَ الله لو يُطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعَنِتُّم﴾ [الحجرات: ٦ ـ ٧].

فالنداء الأول عام لجميع المؤمنين بـالتثبت في الأخبار، ولكن سبب النزول خاص لحادثة وقعت زمن النبي ﷺ كانت تقتضي تأديب جماعة نقلت عنهم أخبار غير صحيحة، ثم جاء إعلامهم بوجود الرسول ﷺ فيهم، وبيان ما لو أطاعهم في كثير من لأمر، للحقهم من العنت ما يندمون عليه.

ويلاحظ أنه قال واعلموا أن فيكم رسول الله ولم يقل نبيّ الله، لأنّ الرسول هو موضع الرسالة والتبليغ، يتلقن الوحي ولن يتركه الله سبحانه من أن يخبره بما يقع منهم في غيبته.

ثم مضت السورة في آداب المجتمع الإسلامي كله

في السلم والحرب جماعات وأفراداً، مما يطول إيراده هنا، وقد أفردنا السورة بمبحث في رسالة خاصة بها بتوسع، ويهمنا منها هذا القدر في عموم الأدب مع الله ومع رسول الله ﷺ.

وهذه الآداب هي التي ارتفعت بالأمة حتى أصبحت خيرَ أمة أخرجت للناس.

* * *

ما لا يجوز فعله في المسجد النبوي الشريف

أخي الحاج والزائر الكريم لقد صحبناك في هذه الرحلة المباركة وأرشدناك إلى ما ينبغي فعله والآداب التي أدّبنا الله بها.

وقد تعاهدنا على الصدق والنصح، فمن تمام النصح لك والصدق معك أن نبيّن لك ما لا يجوز فعله أثناء وجودك في المسجد النبوي الشريف لتحاذر منه وتبتعد عنه لتسلم لك رحلتك ويحفظ الله لك عملك ويعظّم لك أجرك.

وذلك نتيجة سنوات عديدة عاشرنا الحجاج والزوار فيها، وقد لمسنا أثر العاطفة عليهم، وتأثيرها في سلوكهم، فقد تدفعهم إلى فعل ما لا يجوز بنيّة حسنة وحسن مقصد، ولكن ذلك لا يعفيهم من المسؤولية أمام الله ولا يعفي طلبة العلم من واجب الإرشاد والنصح.

ولا يعفي العاطفة نفسها من المسؤولية، لأن عاطفة المسلم محكومة باتباع سنّة رسول الله ﷺ تابعة لها لا خارجة عليها كما في الحديث «والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

وقد ذمَّ الله من اتخذ هواه قائداً له، فقال: ﴿أرأيتَ من اتَّخَذَ إلَهه هواه﴾ [الفرقان: ٤٣].

ولهذا وجب نصحك بتجنب الآتي:

١ ـ نذكرك بعدم رفع الصوت عند السَّلام على رسول الله، والتحذير فيه من إحباط العمل كما تقدم.

٢ ـ الانحناء عند السلام، وكل هيئة من هيئات الصلاة.

٣ ـ استقبال الحجرة عند الدعاء لأن الدعاء قبلته الكعبة.

٤ ـ التمسح بالجدران والشباك والمنبر والأبواب التماساً للبركة. وهنا نقول لك: هذا الالتماس للبركة دعاك إليه نص من كتاب الله، أو سنّة رسوله ﷺ أم العاطفة؟ إنها العاطفة.

٥ ـ المزاحمة عند السلام أو في الروضة أو عند المحاريب.

٦ ـ الجري عند الدخول من الأبواب، وخاصة

لصلاة الصبح عند فتح باب السلام.

٧ ـ عدم المبالاة بالمرور بين يدي المصلين.

٨ ـ تقطيع الصفوف في الجماعة.

٩ ـ تخطي الرقاب للوصول إلى أوائل الصفوف أو المسجد القديم.

١٠ ـ الجلوس في مداخل المسجد مع وجود السعة في الداخل.

١١ ـ ومن أخطر ذلك الطواف بالحجرة كالطواف بالكعبة.

وإليك أقوال العلماء في ذلك:

الانحناء عند السلام

أولاً: الانحناء عند السلام. نقل السمهودي عن ابن جماعة أنه قال: قال بعض العلماء: إنه بدعة ويَظن من لا علم له أنه من شعار التعظيم، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر، لم يفعله السلف الصالح، والخير كله في اتباعهم.

ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم.

تنبيــه:

الانحناء هنا يصدق بثني الرقبة وخفض الرأس، كما نبَّه صاحب نزهة الناظر. أما الركوع فمحرَّم وقد يفضي إلى الشرك في العبادة، عافانا الله وإياك.

التمسح بالجدران وبالشبك والأبواب والمنبر.. إلخ

أخي الحاج، أخي الزائر.. لعله عالق بذهنك ما تشاهده في بعض المواطن من بعض العوام وبدافع من العاطفة، ومظنة في التماس البركة كثرة من يتمسح بالجدران ونحوها، ولا يشكُّ مسلمٌ قط في أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلتمسون منه البركة سواء من شخصه بدعائه، أو لمسات يده، أو بإثـارة من سؤره في طعام أو شراب، أو حتى عرقه أو شعره، كما حدثَ في حلق رأسه بمنى، وتقسيم شعره على الناس. ونحن نقول: إننا لو وجدنا أي أثر منه ﷺ حقيقة لاكتحلنا به في أعيننا ملتمسين منه البركة، ونعبّر بصدق عن مدى محبته، وعاطفتنا إليه ﷺ.

ولكن لنحكِّم العقل مع العاطفة، ونأتي إلى هذه الآثار الموجودة من جدران وشباك وباب وعامود ومنبر،

ونتساءل هل لامست رسول الله ﷺ أو هو ﷺ لامسها، أو كانت من وضع يده، أو عاصرته، أو حتى عاصرت أصحابه.

إن الواقع لينادي بكل صراحة: إنها كلُّها وُضعت من بعده ﷺ لا بعشرات السنين بل بمئاتها.

وقد كان سلفُ الأمة رضوان الله تعالى عليهم أشدَّ حباً وأقوى عاطفة، وأحرص على التبرك به ﷺ، ولم يُنقل عن واحد منهم شيء من ذلك.

ومع هذا الشوق إليك نماذج من أقوال العلماء الأجلاء لتقف على الحقيقة: من ذلك ما جاء عند النووي رحمه الله في «المجموع» وفي منسكه قال: فرع ـ لا يجوز أن يُطافَ بقبره ﷺ وغيره. قالوا: ويُكره إلصاقُ الظهر والبطن بجدار القبر، قاله أبو عُبيد الله الحليمي وغيره.

قالوا ويُكره مسحُه باليد وتقبيلُه. بل الأدبُ أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضره في حياته ﷺ، هذا هو الصوابُ الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه. ولا يُغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعلهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال

العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيـرهم وجهالاتهم.

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال: «من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رد» هـ.

وقال الفضل بن عياض رحمه الله: اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلّة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين. ومَنْ خطرَ بباله أن المسحَ باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته، لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع، وكيف تبتغي الفضل في مخالفة الصواب.

فهذا من أئمة الشافعية ومن علماء السلف يُحَذِّرُ من ذلك كله ويُبيِّن أن هذا هو قول العلمـاء، وأنهم مطبقون، أي متفقون عليه.

وقال ابن حجر الهيثمي: كما أجمعوا على تحريم الصلاة لقبره، (أي: متجهين ومستقبلين القبر الشريف) إعظاماً، كذلك أجمعوا على حرمة الطواف بقبره، لأن الطوافَ بمنزلة الصلاة.

وقال ابن قدامة، وهو من أئمة الحنابلة: «فصل» ولا

يستحب التمسح بحائط قبر النبي ﷺ ولا تقبيله. قال أحمد: ما أعرف هذا. قال الأثرم: رأيتُ أهل العلم من أهل المدينة لا يمسُّون قبرَ النبي ﷺ، يقومون من ناحية فيُسَلِّمون. قال أبو عبد الله: وهكذا كان ابن عمر يفعل.

قال: أما المِنبر فقد جاء فيه ـ يعني ما رواه إبراهيم ابن عبد الرحمٰن بـن عبد القارىء ـ أنه نظر إلى ابن عمر، وهو يضعُ يدَه على مقعد النبي ﷺ من المِنبر، ثم يضعُها على وجهه. المغني جـ ٣ ص ٥٦.

فنراه ينقل لنا وبوضوح ما كان عليه أهل العلم بالمدينة في خصوص القبر، ولم يكن عليه آنذاك هذا الشبك الموجود حالياً، بل كان جدار حجرة عائشة رضي الله عنها، والجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وهو من وراء هذا الشبك الموجود بعدة أمتار، أما هذا الشبك فقد وضع بعد ذلك بمئات السنين.

وكذلك الحال فيما نقله عن ابن عمر من تبرُّك بمقعد النبي ﷺ على المِنبر، فإن ذلك كان بالنسبة للمنبر الذي كان ﷺ يخطبُ عليه مباشرة، وكان من الخشب، وكان ثلاث درجات، درجة يصعدها، ودرجة يضع

قدميه الشريفتين عليها، والثالثة يقعد عليها، وقد احترقَ في حريق المسجد كما هو مبين في تاريخ المسجد النبوي الشريف، أما المنبر الموجود حالياً فهو من الرخام، ووُضع بعد عهد النبي ﷺ وبعد حريق المنبر الأول بمئات السنين.

ومع ذلك، فاستمع إلى ما نقله الإمام ابن تيمية من أئمة الحنابلة، إذ يقول: تنازع الفقهاء في وضع اليد على منبر سيدنا رسول الله ﷺ لمّا كان موجوداً، فكرهه مالك وغيره؛ لأنه بدعة. وذُكر، أي نُقل أن مالكاً لما رأى عطاء فعل ذلك لم يأخذْ عنه العلم. ورخّص فيه أحمد ـ يعني ابن حنبل ـ وغيره، لأن ابن عمر رضي الله عنه فعلَه. وأما التمسح بقبر النبي ﷺ وتقبيله فكلُّهم كرهَ ذلك ونهى عنه، وذلك لأنهم علموا ما قصدَه ﷺ من مادة حسم الشرك وتحقيق التوحيد وإخلاص الدين لرب العالمين.

وأحسبك ستقول: أقبل ذا الجدار وذا الجدار ـ وما حُبُّ الديار شغفنَ فؤادي، ولكن حبُّ من سكنَ الديار، فأذكرك بأن هذه مقالة عاشق مادي، وأنت حبُّك لرسول الله ﷺ روحي.

وإن حقيقة محبتك إياه إنما هي في اتباعه ﷺ.

الزحام على المحاريب في المسجد النبوي

المحاريب جمع محراب وهو التجويف الذي يوجد في جدار المسجد من جهة القبلة علامة عليها، وهذه العلامة لم تكن موجودة زمن النبي ﷺ لأنك تعلم أن المساجد لم تكن موجودة إلا في الإسلام والنبي ﷺ لم يتخذ المحراب علامة للقبلة، وإنما اصطلح على هذه العلامة من بعده ﷺ بزمن.

وحيث تعين بهذه المحاريب موقف الإمام في الصلاة، فإن كل مسلم قدم إلى المدينة ودخل المسجد النبوي يسعى جاهداً ليصلي في موضع كان قد صلى فيه رسول الله ﷺ وأقرب ما يصدق عليه ذلك هو المحراب الموجود الآن.

ولكنهم حفاظاً على سنّة رسول الله ﷺ وضعوا اللوحة على جهة اليمين من المحراب، مكتوب عليها

هذا مُصلى رسول الله ﷺ، أي موضع صلاته.

فإذا حرصت على صلاتك في مصلى رسول الله ﷺ، فلا يكون بصورة مزاحمة بل ومخاصمة ومدافعة، بل إن النسوة قد يزاحمن الرجال عنده بما لا يقبله أحد قط.

أما بقية المحاريب فلا علاقة لها بشيء من ذلك، لأنها كلُّها في مواضع لم تكن في المسجد النبوي حال حياته ﷺ حيث إن المحراب الموجود الآن في قبلة المسجد النبوي، وهو المحراب المسمى بمحراب عثمان، كان بسبب زيادة أمير المؤمنين في المسجد من جهة القبلة، ثم زيادة عثمان كذلك، ولم يضعوا محراباً في تلك الزيادة.

وكذلك المحراب غربي المنبر ما بين المنبر وباب السلام، والمسمى بالمنبر السليماني أُنشىء بعد عصر الخلفاء الراشدين بمئات السنين.

وحتى لو سلَّمنا بصحة الصلاة، وأن الأرضَ كلها مسجد وأن هذا موقع من مسجد رسول الله ﷺ، فإننا نُحَذِّر من الصور التي تتنافى مع تعاليم الإسلام وآداب الصلاة مما يذهب الخشوع المطلوب فيها.

الزحام في الروضة

لا شك أن كلَّ إنسان يهفو قلبه وتتوق نفسه للصلاة بالروضة المطهرة، كيف لا وهي من رياض الجنة، ولكن كيف تدخل إلى الجنة بالمعصية، وهي إيذاء الخلق بالمدافعة، وبتخطي الرقاب، ومضايقة المصلين، ومخالفة سنّة رسول الله ﷺ.

إن من يرغب الجنة يتقدم إليها ويبكر قبل الزحام.

ومن الخطأ إيثار الروضة على الصفوف الأولى، فقد تقدم الخلفاء في الجماعة أما في النافلة فحيث تيسر، والروضة أفضل بقعة بدون شك.

مخالفات لا تجوز في أي مسجد من المساجد، وبخاصة في المسجد النبوي:

أ ـ منها الجري عند الدخول من الأبواب، وبخاصة قبل الفجر لصلاة الصبح، وبالأخص عند باب السلام مسابقة لأوائل الصفوف أو السلام على النبي ﷺ.

وقد جاء النهي عن الإسراع المخلّ بالمروءة عند الإتيان إلى الصلاة، حتى ولو عند قيام الجماعة في الصلاة، لقوله ﷺ: «فأتوها وعليكم السكينة والوقار،

فما أدركتم فصلُّوا وما فاتكم فاقضوا».

ولأن في هذه الأماكن لكثرة الحجاج وشدة الرغبة قد يكون بين الداخلين من هو ضعيف فيكون خطراً عليه، أو تكون من بينهم النسوة فيكون امتهاناً لهن.

ولا تنس حرمة المكان وشرف الجوار ووجوب التزام كمال الآداب.

ب ـ ومنها عدم المبالاة بالمرور بين يدي المصلِّين ظناً بأن المسجد النبوي مثل المسجد الحرام بمكة، ولكن يجب عليك أن تعلم أن الرخصة جاءت في حرم مكة ولم تأت في حرم المدينة. وأن النبي ﷺ ردَّ (السخلةَ) ـ وهي نتاج الغنم الصغيرة ـ من أن تمر من بين يديه.

وموضوع المرور بين يديْ المصلي مسؤوليته على الطرفين، المصلِّي أولاً والذي يمر ثانياً.

أما على المصلِّي فمسؤوليته بأن يُصلِّي إلى سترة، وأما على الذي يمر فمسؤوليته بأن لا يمرَّ بين المصلي وسترته.

فإذا فرَّطَ المصلِّي ولم يتخذ سترة، فهو مُفَرِّطٌ، وإذا مرَّ إنسان بينه وبين سترته فالذي يمرُّ متعدٍّ.

وحينئذ تشترك المسؤولية، فعلى المصلِّي أن ينبِّهَ المارَّ بين يديه فإن تنبّه ورجع فبها ونعمت وإن سبقه أو غلبه فاجتاز فلا يرده ويمضي، وهو أَثِم بسبب مروره مع تنبيهه، ولا شيء على المصلِّي لعدم تفريطه.

ولعل من المناسب لفت النظر للآتي:

وهو أن الناس في المسجد النبوي عند الزحام في المواسم يأتون مبكرين وقد يكون من حين صلاة العصر فالمغرب فالعشاء حرصاً على المكان أو لبعد المسكن. وبعضهم لا يستطيع الصبر طيلة هذه المدة عند تجديد وضوئه إلا بتكلف، فإذا ما انتهت الصلاة ضاق ذرعاً وأسرع إلى الخروج، وهذا مما يدعو إلى تقدير ظروفهم، وهو وإن لم يكن مسقطاً لحق المصلِّين من منع المارين بين أيديهم، إلا أنه قد يدعوهم إلى إعطاء الفرصة لأصحاب الأعذار في الخروج حالاً، فلا يسرعون في الدخول في الصلاة النافلة بعد الفريضة حالاً.

وينبغي أن يعلم أن المرور بين الصفوف أثناء صلاة الجماعة قد رُخِّص فيه، لأن سترة الإمام سترة للمأموم، مع أن مالكاً كره ذلك لغير حاجة لعدم التشويش على المصلِّين.

وينبغي أن لا يبعد المصلِّي عن سترته أكثر من ثلاثة أذرع من أصابع قدميه.

جـ - ومنها تقطيع الصفوف في صلاة الجماعة: وذلك في صورتين:

١ - تباعد ما بين الصفوف مما يسع صفاً أو أكثر، وهو مقدر بثلاثة أذرع.

٢ - تخلل الفجوات في الصف ووجود فضاء بين المصلِّي والذي يليه يميناً أو يساراً، فيجب على جميع المصلِّين أن يصلوا الصفوف بعضها ببعض وأن يوالوا فيما بينهم في كل صف.

فإذا وجدت فرجة بعد التكبير في الصلاة، فعلى من بحذائها من الخلف أن يتقدم لسدها، ولا يُبدأ في صف حتى يكتمل الذي قبله، وبداية الصف الجديد من محاذاة الإمام يميناً ويساراً.

وقد قال ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربِّها؟» قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصف الأول فالأول» ولأن وحدة الصفوف مظهر لوحدة القلوب، ولذا قال ﷺ: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» وقال: «إن الله لا ينظرُ إلى الصف الأعوج».

د ـ ومن ذلك تخطي الرقاب ممن جاء متأخراً ليصل إلى أوائل الصفوف أو إلى المسجد القديم من المسجد النبوي، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يفعل ذلك، وكان ﷺ يخطب على المنبر، فقطع الخطبة وقال له: «اجلس فقد أذيتَ وأنيتَ». أي أذيت الناس بتخطي رقابهم، وأنيت: أي تأخرت في المجيء، وكان عليك إذا كنت ترغب في التقدم أن تبكر ولا تتأخر.

هـ ـ ومن ذلك الجلوس في مداخل المسجد عند الأبواب مع وجود السعة في داخل المسجد، لأن في ذلك مضرة عليك وعلى غيرك، أما أنت فلتفويت الأفضلية في مقدمة الصفوف، وأما على غيرك فلمنعه من الوصول إلى الداخل إلا بمشقة، والرسول ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار».

ومما ينبغي أن تحفظ نفسك منه شغل وقتك في المسجد بأحاديث اللغو وما لا طائل تحته، لا في الدين ولا في الدنيا، بل تشغله بما تدخره عند الله من ذكر أو تلاوة ومجالس العلم، وبالله التوفيق.

مدة الزيارة وفضل الصلاة بالمسجد النبوي

ثم اعلم أن الزيارة لا ترتبط بأزمنة محدودة طويلة أو قصيرة، ولا بصلوات معدودة قليلة أو كثيرة. وإنما تتأدى بصلاة ركعتي تحية المسجد، ثم السلام على النبي ﷺ وصاحبيه، ثم الدعاء بخير لك وللمسلمين. فإنْ شئتَ سافرت وعدت من حيث أتيت أجزأك ذلك.

أما الإقامة بالمدينة فبحسب ظروفك وما يتيسر لك وتسمح به نظم السفر، وكلما صليت في المسجد فلكل صلاة أجرها بألف صلاة، فريضة كانت أو نافلة على الصحيح عند الجمهور.

وعند الإمام أبي حنيفة رحمه الله فإن المضاعفة خاصة بالفريضة، أما النافلة فهي في البيت أفضل، لحديث: «خيرُ صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

وعند الجمهور صلاةُ المرأة في بيتها أفضل منها في

أي مسجد، ، لحديث المرأة التي جاءت إلى رسول الله ﷺ وقالت: إني أحبُّ الصلاة معك، قال: «قد علمتُ ذلك، ولكنَّ صلاتَكِ في مسجد قومك خيرٌ من صلاتك معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ من صلاتك في مسجد قومك».

وليُعلم أن مضاعفة الصلاة إلى ألف إنما هو في الأجر لا في العدد، ولهذا لو كان عليك فوائت عدة صلوات، بل ولو صلاة واحدة، وصليت الفريضة فإنها مع مضاعفتها لن تسقط تلك الفائتة عنك.

موضوع الأربعين صلاة:

إن ما وردَ في فضل أربعين صلاة بالمسجد النبوي إنما هو من فضائل الأعمال، بل وكلما زادَ عددُ الصلوات زاد الجزاء والثواب. وفضائل الأعمال تكون حسب ما يتيسر للإنسان، ولا يجوز أن تتعارض مع الواجبات.

ماذا يُزار في المدينة سوى المسجد النبوي الشريف؟

إن كل حاج ليتطلع إلى كل أثر من آثار المدينة المنورة مما يتوقع ارتباطه بالرسول ﷺ، ولذلك يسعى لكل ما قيل له إنه مزار أياً كان نوعه أو جنسه من المساجد أو غيرها.

وقد يتكلف كثير من الناس الذهاب إلى كثير من الأماكن تحقيقاً لهذا الغرض، بل وقد يظن البعض أن تلك المزارات تابعة وتتمة لزيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ.

ولو رجعنا إلى تاريخ المدينة لحكمنا أنه قلَّ أن توجدَ جهة بها إلا وقد كان لها يوماً ما صلة برسول الله ﷺ ولكن كان ذلك بحكم الاستيطان والإقامة، ولن يستطيع أحد أن يُحدِّد موضعاً بالذات إلا ما جاءت الأخبار به.

ولم يكن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ولا

التابعون رحمهم الله يتتبعون كلَّ ذلك، إلا ما جاء عنه ﷺ أنه كان يزوره، وله فيه سنّة منقولة وعمل متوارث، وهذا الذي لا بأس بالإتيان إليه، بل تنتهز الفرصة لزيارته لمن وسعه ذلك، على أنه عمل مستقل بذاته، سواء كان لتحصيل الفضيلة، أو للدراسة، أو للعبرة من كل مقصد مشروع، وعليه شوق لتلك الأماكن التي يصدق عليها ذلك.

مسجد قباء: ويقع جنوباً من المدينة.
شهداء أحد: وموقعهم شمالاً عن المدينة.
أهل البقيع: ويقع شرقي المدينة.

وقد تواصلت المباني لهذه الأماكن تقريباً.

تلك الأماكن الثلاث ثبت عنه ﷺ أنه جاءها قصداً واتفق المسلمون على أن المجيء إليها مشروع على ما سنبينه في كل منها على حدة.

أما ما عداها فهي مآثر تاريخية لم يُنقل أنه ﷺ كان يتردد إليها أو يقصد الإتيان إليها، من ذلك موقع غزوة الأحزاب، ومواقع حصار بني قُريظة، ومسجد المصلى المعروف الآن بمسجد الغمامة.

وسنلم بها أيضاً من الناحية التاريخية إن شاء الله.

* * *

مسجد قباء

من أهم مآثر المدينة المنورة بعد المسجد النبوي إنما هو مسجد قباء، ذلك المسجد الذي كان سبب نزول قوله تعالى:

﴿لمسجدٌ أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يُحبُّون أن يتطهروا والله يُحِبُّ المطّهرين﴾ [التوبة: ١٠٨].

وكان تأسيس هذا المسجد في أول يوم من مقدم رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، وقد وصل أول ما وصل إلى قباء، وكان وصوله يوم الاثنين، ومكث بها إلى يوم الجمعة، فبنى هذا المسجد في تلك الفترة.

وقد شاركَ المسجدين الشريفين (المسجد الحرام ومسجد المدينة) في كيفية اختياره ونوعية بنائه وذلك أن المسجدَ الحرام كان كما قال تعالى:

﴿وإذ بَوَّأْنَا لإبراهيمَ مكانَ البيت﴾ [الحج: ٢٦].

والمسجدُ النبوي حيث كانت ناقته ﷺ تسير به، ويناديه أهل كلٍّ حي لينزل عندهم، فيقول: دعوها فإنها مأمورة، حتى أناخت بمكان المسجد، فقال ﷺ: «إنه المنزل إن شاء الله».

فكذلك مسجد قباء، لما أراد ﷺ بناءَه أمر أحد الحضور أن يركبَ الناقة ويرخي لها الزمام وقال: خطوا على آثارها للمسجد. ثم شرعَ ﷺ في البناء، وشاركَ مشاركة فعلية في بنائه، كما شاركَ مشاركة فعلية في بناء مسجده بالمدينة.

ولفضل سبق بنائه السبق الزمني كان له فضلٌ لم يُشاركه غيرُه فيه. ومما جاء في فضله عند الترمذي، قوله ﷺ: «الصلاة في مسجد قباء كعمرة».

وأخرجَ ابن ماجه وابن شبه، بسند جيد، عن سهل ابن حُنيف، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تطهَّرَ في بيته ثم أتى مسجدَ قباء فصلَّى فيه صلاةً كان له كأجر عمرة» وعليه فإذا كان قد صحَّ عنه ﷺ قوله: «مَنْ تطهَّرَ في بيته ثم أتى مسجدَ قباء فصلَّى فيه ركعتين كنَّ له كأجر عمرة». فالراغب في الخير لا يُفوِّت ذلك على نفسه، والمتأمل في هذا التاريخ المجيد لهذا

المسجد، والدارس لأحداث السيرة النبوية يجد مصداقَ ذلك في كون هذا المسجد التعبير الصادق لانطلاقة الدعوة الإسلامية إلى الآفاق، بعد أن كانت حبيسة بمكة، ويجده التعبيرَ العملي عن دعوة الإسلام بناية وهداية، وكان هو المعقل الأول لتجمّع المهاجرين الذين تأسست الدولة الإسلامية الجديدة بهم، وبالأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يُحبُّون من هاجر إليهم.

وقد كان ﷺ يأتيه كلَّ سبت راكباً أو ماشياً، وليس يوم السبت هو المخصوص بذلك؛ ولكنه ﷺ كان يتفقَّدُ أخوالَه بني النجار يوم الجمعة، فإذا افتقد أحدَهم ذهبَ هو إليهم يوم السبت، وينبغي أن تتحرَّى بالذهاب إليه الأوقات التي تصحُّ فيها النافلة أو تُصادف فريضة.

ويتجنب أوقات النهي، وأهمها عند طلوع الشمس بازغةً، وعند قائم الظهيرة، وعند تصنيُّفها للمغيب. وما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وما بين صلاة العصر وغروبها، حيث نهى ﷺ عن النافلة في تلك الأوقات، وبه أخذ الأئمة الثلاثة، وأجاز الشافعية النوافلَ ذوات الأسباب.

زيارة أهل البقيع والسلام عليهم والدعاء لهم «وهو بقيع الغرقد»

والبقيع هو مدفن أهل المدينة منذ زمن النبي ﷺ والذي به آل بيت رسول الله ﷺ وكثير من أصحابه، نحو مائتي صحابي وأكثر، وفيه من التابعين والعلماء، بل ومن الشهداء أعداد كثيرة.

وقد جاءت في فضله وفضل زيارته والسَّلام على أهله والدعاء لهم آثار عديدة صحيحة، منها: «أنه أوَّلُ مقبرةٍ تنشَقُّ عنهم الأرضُ يومَ القيامة».

وأنه ﷺ كان يزورُه ويُسَلِّم على أهله ويدعُو لهم.

وأنه ﷺ قال: «أتاني جبريلُ وأمرني بزيارةِ البقيع».

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضيَ الله عنها؛ أن رسول الله ﷺ قال لها: «إن جبريلَ عليه السَّلام أتاني فقال: إنَّ ربَّكَ يأمرُكَ أن تأتيَ أهلَ البقيع فتستغفرَ لهم».

وفي رواية مالك في «الموطأ» لعائشة رضي الله عنها قال لها رسول الله ﷺ: «إني بُعثتُ لأهلِ البقيعِ لأُصلِّي عليهم».

وجاء عنه ﷺ: «مَن استطاعَ أن يموتَ بالمدينة فليمتْ بها، مَنْ ماتَ بالمدينة كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يومَ القيامة».

وأحاديث الزيارة لعموم القبور كثيرة، وللزيارة آداب يلزم مراعاتها، وهي: إذا أتى البقيع أو أي مقبرة للمسلمين في أنحاء العالم فليُسلِّم على أهلِها ويدعو لهم، على نحو ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسولُ الله ﷺ فقال: «السَّلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لَاحِقُون».

وعند أحمد بزيادة في حديث عائشة رضي الله عنها: «اللهم لا تحرمنا أجرَهم ولا تَفْتِنَّا بعدَهم».

وكان ﷺ يُعلِّم أصحابه كيفيةَ السلامِ على أهل المقابر أن يقولوا: «السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، نسألُ الله لنا ولكم العافية» وهو في صحيح مسلم.

وكان ﷺ يقول: «اللهم اغفرْ لأهلِ بقيعِ الغرقد».

تخصيص البعض بالسلام:

فإذا دخلت البقيعَ وعرفتَ قبرَ الإنسان بعينه، فتُسلِّم عليه باسمه، مثل زوجات رسول الله ﷺ أو بناته، أو قبر عثمان بن عفان، أو مالك بن أنس، أو غير ذلك من آل البيت أو عموم الصحابة أو من بعدهم، حتى من أهل العصر الحاضر، فتذكره باسمه وتدعو له، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ما من أحدٍ يمرُّ بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيُسلّم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السلام».

محظورات تلك الزيارة:

من محظوراتها أن تطأ قبراً أو تجلس عليه، وإن استطعت أن تخلع نعليك كان أفضل، لحديث: «لأن يجلسَ أحدُكم على جمرةٍ فتحرقَ ثيابَه وتخلصَ إلى جلده خيرٌ من أن يجلسَ على قبر» رواه مسلم.

وأشدُّ المحظورات اللغط بأمور الدنيا، والغفلة عما هم فيه ومآلك إليه، أو أخذُ شيء من التربة، أو التمسح بالقبور، أو نحو ذلك.

ما يتعلق بزيارة النساء للمقابر:

جاءت النصوص بالمنع، كقـوله ﷺ: «لعن الله

زائرات القبور» وفي رواية «زَوَّاراتِ المقابر» بصيغة المبالغة.

وجاءت الإباحة: «كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها تُذَكِّرُ بالآخرة وتزهِّدُ في الدنيا». فاختلف العلماء في زيارتهن لذلك، فمن منعَ نظرَ للزجر، ومن أباحَ نظرَ للإذن، وحمل الزجر على المكثرات «زوَّارات». وادَّعى أن واو الجماعة في قوله ﷺ: «فزوروها» شاملة للنساء مع الرجال، ولهم أدلة أخرى. واستدلوا بحديث عائشة المتقدم الذي قال لها ﷺ: «أتاني جبريلُ فقال لي..» إلخ. قالت: فقلت له: ماذا أقولُ إن أنا زرتُ المقابرَ. فقال قولي: «السَّلام على أهلِ الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمِينَ منَّا والمستأخرين، وإنا إن شاءَ الله للاحقون» رواه مسلم والنسائي.

واتَّفقوا جميعاً على أن المرأة إذا كانت مارةً في طريقها بالمقبرة فسلَّمت على أهلها واستغفرت لهم فلا مانع.

ولهذا فإن النسوة لا يُسمح لهن بدخول البقيع ومسموحٌ لهن أن يُسلِّمن من وراء السور.

ثم اعلم أنه إذا أتيت إلى باب البقيع فسلَّمت على

جميعِ من فيه جملة ودعوت واستغفرت لهم أجزأَ، وإن دخلتَ وسلَّمت على كل من تعرف قبره بالبقيع فلا بأسَ، وليكنْ بحسب ما يتيسر لك.

ودعك من كثرة العبارات أو الجمل التي يردِّدها البعض، وعليك بما وردت بـه السنّة من السـلام والدعاء.

* * *

شهداء أحد

وهم شهداء معركة أحد رضوان الله تعالى عليهم، وكانت غزوة أحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، كانت رد فعل من المشركين على ما أصابهم في غزوة بدر من قتل وأسر، ما كانوا ليصبروا عليه فجاؤوا إلى المدينة قريشٌ وأحلافُها.

وخبر تلك الغزوة يطولُ، وقد فصَّلناه في غير هذا الموضع، والذي يهمنا أن هؤلاء الشهـداء ضحوا بأنفسهم لإعلاء كلمة الله والحفاظ على دين الله، والدفاع عن رسول الله ﷺ، حتى أتمّ الله دينَه وأعلى كلمتَه، ووصلتنا رسالة الإسلام بفضل من الله، ثم بفضل من دمائهم الزكية وأرواحهم الطاهرة وقلوبهم المؤمنة، فما من مسلم قال: لا إله إلا الله محمد رسولُ الله، إلا ولهم في ذمته فضل، فأقلُّ ما يؤدِّيه هو السلام عليهم والدعاء لهم.

وقد كان ﷺ يأتيهم بعد المعركة، ويـزورهم،

ويُصلِّي عليهم، ويستغفرُ لهم، ويأتيهم من بعـده أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، بل ومعاوية لما حجَّ في خلافته أتى إليهم، وهكذا المسلمون إلى اليوم، وقد جاءت في أخبارهم آثارٌ يطولُ إيرادها.

كيفية السلام عليهم:

جاء في صحيح البخاري أن النبيَّ ﷺ أتاهم بعد المعركة بثمان سنوات وصلَّى عليهم كالمودع لهم.

وجاء عند البيهقي، أنه ﷺ أتاهم فقال: «اللهم إن عبدَك ونبيَّك يشهدُ أن هؤلاء شهداءُ وأنَّهم من زارَهم أو سلَّم عليهم إلى يوم القيامة رَدُّوا عليه السَّلامَ».

وكان ﷺ يقول: «سلامٌ عليكم بما صبرتُم فنعمَ عُقبى الدار». ولما زارَهم معاويةُ قال: وكان ﷺ إذا واجهَ الشِّعبَ قال: «سلامٌ عليكم بما صبرتُم فنِعمَ أَجرُ العاملين».

وروي أنه ﷺ وقفَ على قبر مُصعبَ بن عُمير رضي الله عنه وقرأ:

﴿مِن المؤمنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبَه ومنهم مَنْ ينتظر وما بَدَّلُوا تبديلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وعند أبي داود أنه ﷺ أخبرَ أصحابَه بقوله: «إن أخوانَكم لما أُصيبوا بأحد جعلَ الله أرواحَهم في جوفِ طيرٍ خُضْرٍ تردُ أنهارَ الجنة، تأكلُ من ثمارهَا وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيبَ مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: مَنْ يُبلغ عنا إخوانَنَا أنَّا أحياءٌ في الجنة نُرزقُ لئلا يَزهَدُوا في الجهاد، ولا يَنكلُوا عن الحرب، فقال تعالى: أنا أبلغُهم عنكم» فأنزلَ عزَّ وجل:

﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون * فرحينَ بما ءاتٰهُم اللهُ من فضلِه ويستبشرُون بالذين لم يَلحقُوا بهم من خلفِهم ألَّا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنُون﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وسيد الشهداء حمزة عمُّ رسول الله ﷺ موجود الآن، معروف قبره، وقد شهدت المدينة مصداق الآية في حياة الشهداء بعد أربعين سنة من المعركة حين جاءَ السَّيْلُ واجترفَ الأرضَ عن بعض قبور الشهداء، فانكشفتْ أجسامُهم، فوُجدت كما هي، وكأنهم دُفنوا بالأمس، لم يتغيَّرْ منها شيء، ونُقلوا إلى المرتفع الذي هم فيه الآن، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

مسجد القبلتين

معنى مسجد القبلتين من وقوع صلاة فريضة إلى القبلتين، نصفُها إلى بيت المقدس ونصفُها إلى الكعبة:

ومعلوم أن النبي ﷺ أوّل ما فُرضت الصلاة كان يُصلِّي بمكة مستقبلاً الكعبة جاعلاً إياها بينَه وبين بيت المقدس، أي كان يصلي بين الركنين، فلما هاجرَ إلى المدينة أخذ يُصلِّي مستقبلاً بيت المقدس لمدة ستة عشر شهراً، ولعلها كانت تأليفاً لليهود، كما أنه صامَ يومَ عاشوراء، وكانوا يصومونه ويقولون: هو يومٌ نجّى الله فيه موسى من فرعون، فصامه موسى شكراً للّه، فصاموه، فقال ﷺ: «نحنُ أحقُّ بموسى منكم» فصامَه وأمرَ النَّاسَ بصيامه.

وقد كان في استقباله ﷺ بيتَ المقدس في صلاته إعلان أنه ﷺ ما كان بدعاً من الرسل، وأنه على منهج رسالات الله إلى رسله في الأمم قبلَه، ولكن اليهود

اتخذوا هذا على العكس، فقالوا في أسلوب السفسطة وتضليل العامة: لو كان ديننا باطلاً ما تبعَ محمدٌ قبلتنا، فكان ﷺ يُصلِّي إلى قبلتهم، وهو ينتظرُ أن يوجهه الله عنها. يُطيل تطلُّعَه إلى السماء حتى نزلَ قوله تعالى:

﴿قد نرى تَقَلُّبَ وجهك في السَّماء فلنولينَّك قِبْلةً ترضىٰها فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحَرَام﴾ [البقرة: ١٤٤].

فتحوَّلَ ﷺ إلى الكعبة.

وهنا تتعدد الروايات في أي صلاةٍ تحوَّل، وهل تحوَّل أثناء الصلاة، أم بعدها لصلاة جديدة، وفي أي مسجد كان التحوّل.

فرواية البخاري لم تعين مسجداً ولا صلاة، والروايات الأخرى منها أنه ﷺ أنزل عليه قرآن بالليل فصلَّى صبحَ يومِها في مسجده إلى الكعبة، فمرَّ رجلٌ ممن صلَّى مع رسول الله ﷺ على قوم وهم يصلُّون الظهر في قباء إلى بيت المقدس على ما كانوا عليه، فأخبرهم بما نزل من الوحي وبتحوّله ﷺ فاستداروا وهم في الصلاة وأتمُّوا صلاتَهم إلى الكعبة.

ورواية أن ذلك كان في صلاة العصر، وفي مسجد بني سليم المسمى اليوم بمسجد القبلتين.

ورواية أنه ﷺ زارَ أمَّ بشر بن البراء في بني سلمة وصنعتْ له طعاماً وحانتْ صلاةُ الظهر، فصلَّى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أُمرَ فاستدارَ إلى الكعبة واستقبل الميزاب.

ورواية رافع بن خديج: أتانا آتٍ ونحنُ في بني عبد الأشهل، فقال: إن رسولَ الله ﷺ قد أُمرَ أن يُوجَّهَ إلى الكعبة. قال: فأدارَنا إمامُنا إلى الكعبة ودُرْنَا معه.

ورواية ثويلة بنت أسلم، قالت: صلَّيْتُ الظهر والعصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلتُ مسجدَ إيلياء فصلَّيْنا سجدتين، أي: ركعتين، ثم جاءنا من يخبرنا أن النبي ﷺ قد استقبلَ البيت الحرام، فتحوَّلَ النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، فصلَّيْنا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام.

ولعل ظان يظن التعارض في هذه الروايات، فالواقع أنها كلُّها صحيحة، لأن حدث تحويل القبلة كان لا شكَّ متوقعاً للجميع، بل إن بعض الأنصار وهم في طريقهم إلى الحج قبل هجرة النبي ﷺ وقبل تحويل القبلة ممن ذهبوا لمبايعةِ رسولِ الله ﷺ عند العقبة، كان يُصلِّي مستقبلاً القبلة، وكان يقول لا تطاوعني نفسي أن أستدبرَ هذه البنيّة.

فلما نزل الوحي بالتحول، لم يكن ليبلغ قبائل الأنصار كلّهم في وقت واحد، وأولى ما يُقال في ذلك: إن كل أهل مسجد بلغهم الخبرُ تحوّلوا، فمن بلغَه الخبر في غير وقت الصلاة بدأ صلاته إلى الكعبة، ومن لم يبلغه الخبر إلا وهو في الصلاة فبادروا بالاستدارة حالاً. وتكرر ذلك في عدة مساجد: مسجد بني حارثة، ومسجد قباء، ومسجد بني عبد الأشهل، ومسجد بني سُليم. إلا أن مسجد بني سُليم اشتهر من بينها، لعلَّه للرواية التي ذكرت صلاته ﷺ فيه، وأنه تحوَّلَ وهو يُصلِّي فيه الظهر بعدما صلى ركعتين إلى بيت المقدس، فأتمَّ صلاتَه إلى الكعبة، لأن سواه من المساجد لم تأت الرواية بأنه تحول أثناء صلاته فيه.

ولم يأت أنه تحول أثناء الصلاة إلا في رواية مسجد بني سلمة المسمى اليوم بمسجد القبلتين.

ويهمنا هذه الطاعة المطلقة والسرعة الفائقة إلى المبادرة بالتحول أثناء الصلاة دون أن يقطعوا صلاتهم، أو أن يترددوا في امتثال ما بلغهم، ويُؤخذ منٍ هذه الحالة أنه من بدأ صلاته إلى جهة غلبت على ظنه أنها القبلة بعلامات يعرفها وبعد اجتهاد منه ثم تبيَّنَ له أثناء الصلاة أنه على غير اتجاه القبلة، كأن أخبره عالمٌ

بالجهة، فإنه ينحرف إلى القبلة ويتم صلاته، لأن أولئك الذين لم يأتهم الخبر إلا ظهراً أو عصراً، بينما الوحي قد كان نزل بالليل فما صَلُّوه كان صحيحاً.

أما متى كان تحويل القبلة؟ قيل: في يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية، وقيل: في جمادى، وقيل: بعد غزوة بدر، وقيل: في نصف رجب. ومهما يكن من وقت، وفي أي زمان أو في أي مسجد من أي مكان، فإن هذا التحوّل إلى الكعبة يعتبر من قبيل التكامل في الإسلام، والارتباط بأول بيت وُضِع للناس، وهو البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، وفيه عودة بالارتباط بالخليل عليه السلام في تسلسل الرسالات ومنهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وفي الختام يلزم التنبيه على كل حَاجٍّ وزائر أن لا يقعَ في جهالة العوام، فيعمدون إلى صلاة رباعية يُصلُّون منها ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة. فقد نُسخ استقبالُ المسلمين لبيت المقدس من ذلك التاريخ، ولله الحمد والمِنَّة.

* * *

مُصلى العيد أو مسجد الغمامة وغيره

ويقع غرب جنوب المسجد النبوي.

المسجد المعروف لدى العامة بمسجد الغَمامة، يعنون المعجزة لرسول الله ﷺ أثناء سفره إلى الشام قبل البعثة في تجارة لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها قبل أن يتزوجها، وكان معه غلامها ميسرة، فكان إذا اشتد الحر جاءت غمامة تُظَلِّل رسولَ الله ﷺ، فذكر ذلك ميسرةُ لسيدته خديجة، فرغبت في الزواج منه.

ومعلوم أن حادثة الغمامة كانت بطريق الشام، ولكن أُطلق هذا الاسم تخليداً لذاك الحدث.

والحقيقة التاريخية لهذا المسجد أن النبي ﷺ كان في صلاة العيدين والاستسقاء يخرجُ بالمصلين إلى مكان فسيح حيث كان يخرج معه النساءُ والصِّبيان حتى الحُيَّض من النساء، يلتمسن بركة ذلك اليوم ويجتنبن المصلى، وكان أقربُ فضاء للمسجد النبوي هو مكان هذا المسجد، ويبعد عن المسجد النبوي ١٠٠٠ ذراع (٧٥٠ متراً).

وكانوا يضعون منبراً لرسول الله ﷺ يخطب عليه

هناك، وهذا المسجد كان في موقع مُصلَّاه ﷺ من المكان الفسيح. فجاء أيضاً عمرُ بن عبد العزيز وأقام فيه مسجداً حِفاظاً على معالمه. وبالتالي فإن كلّ المساجد بالمنطقة التي هي:

١ ـ مسجد أبي بكر ٢ ـ مسجد عمر ٣ ـ مسجد عليّ.

كلُّها من هذا القبيل، إلا أن هؤلاء الخلفاء رضوان الله تعالى عليهم لم يكونوا ليقوموا في مكان قيامه ﷺ تأدباً منهم، فوقف أبو بكر عن يمين موقف رسول الله ﷺ، ووقف عمر عن يسار موقف رسول الله ﷺ، ووقف عليٌّ ما بين موقف رسول الله ﷺ وموقف أبي بكر متأخراً إلى الشمال.

وهكذا أُقيمت تلك المساجد لهذه الغاية، وقيل: إن رسول الله ﷺ كان قد صلَّى بها، ثم استقرت صلاتُه بمصلَّى العيد هذا إلى وفاته ﷺ.

ومعلوم أن الخلفاء الراشدين ما كانوا ليتفردوا بمساجد، ويَدَعوا مسجدَ رسول الله ﷺ لا في حياته ﷺ ولا من بعده.

وعليه فالمجيء إلى تلك المساجد يكون من هذا المنطلق، وبالله تعالى التوفيق.

ما يُسمَّى بالمساجد السبعة

وحقيقتها موقع غزوة الخندق أو غزوة الأحزاب وكانت في السنة الخامسة من الهجرة، لما علم ﷺ بتجمع قريش وأحلافها من غطفان، ومَنْ تابعها لغزو المدينة واستئصالها. وأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ بحفر الخندق. وكانت المدينة محاطة بحرارٍ من الحجارة لا تستطيع الجيوش اجتيازها، ولا يوجد مدخل لها إلا بطن الوادي، فقام ﷺ بحفر الخندق في المدخل ليكمل تحصين المدينـة، فجاء الأحـزابُ ووجدوا الخندقَ أمامَهم فصدَّهم عن الوصول إلى المدينة، فسُمِّيَت غزوة الأحزاب، وقد كان فيها من الأحداث والمعجزات الشيء الكثير.

وكان موقع الخندق ومساره يَصل ما بين طرفي الحرة، وكان وضعُ الحرة حول المدينة كالهـلال، فوصل الخندق ما بين طرفيه، فاستكملت الدائرة حول المدينة، وكان يبدأ من طرف الحرة الشمالي الشرقي

إلى طرفها الشمـالي الغربي ومسـافته نحـو خمسة كيلو مترات ويقع خلف سلع.

وقد كان معسكر المسلمين ونزولهم أثناء العمل في حفر الخندق في محل المساجد السبعة المـوجودة حالياً، ولم تكن آنذاك مساجد، ولكن بعد أن أعزَّ اللهُ دينه، ونصرَ عبدَه، وهزمَ الأحزاب وردَّهم بغيظهم لم ينالُوا شيئاً، وكفى اللهُ المؤمنين القتال، حفظ عمر بـن عبد العزيز رحمه الله تاريخ تلك الوقعة ببناء تلك المساجد في مواطن بعض الخيام على سبيل التقدير والتقريب، لأن الخندقَ قد اندثر وضاعتْ معالمُه، فجعلَ المساجدَ كرمز لموقع المعسكر.

وعليه فإن المجيءَ إليها لا ينبغي أن يكون على أنها مزاراتٍ ولا مواطنَ عبادة، ولكن إن يكن فعلى أنها معاهدُ دراسة وتحقيق تاريخي، أو استطلاع عسكري، أو استخلاص العبرة، وموجب الترضي على هؤلاء الكرام الذين أكرمَهم الله بهذه المشاهد والمشاركة في تلك الوقائع، وليرجع المسلمون لدراسة تـاريخهم والاستفادة مما فيه من خطط وعبـر، وبالله تعـالى التوفيق.

* * *

ما بعد الزيارة

بعد إتمامِكَ الزيـارة ونيلِك شرفَ هـذه الرحلة المباركة، التي جدَّدْتَ فيها العهد بموطن الـدعوة الإسلامية، وشاهدت المآثر النبوية، وعشت بفكرك حقبة التاريخ الإسلامي كلّه، وتزودت بكل ما كانت تتوق إليه نفسك.

وها أنتَ تتأهبُ للعودة إلى أهلك، والرجوع إلى بلدك، فلا تغلبك فرحة الصورة ودهشة المفارقة عن آداب الصورة، وهي كالآتي:

أولًا:

ليكن آخرَ عهدك بالمدينة صلاةٌ بالمسجد النبوي وسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه، كما بدأت به أوَّل ما جئت. فقد روي عنه ﷺ أنه كان إذا نزلَ منزلاً ودَّعَه بركعتين. وتقدَّمَ لك من فعل ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قدم من سفرٍ أو أرادَ سفراً عن المدينة سَلَّم على النبي ﷺ

ثانياً:

توثيقُ العهد مع الله على التوبة الصادقة والتزام سنة المصطفى ﷺ متذكراً ومستحضراً بيعة أصحابه في حياته على السمع والطاعة، وكانت سنته ﷺ مع الوفود أن يوصيَهم بتقوى الله والمخالقة بالحسنى والرفق.

ثالثاً:

توديعُ من عرفت من صالح المؤمنين، ويزودونك بصالح الدعوات.

رابعاً:

لا تخرج من المسجد بظهرك تمشي القهقرى إلى باب السلام أو دونَ ذلك، زعماً أنه الأدبُ مع رسول الله ﷺ لأن حقيقة الأدب معه ﷺ هو اتباع سنته والاستنان بعمل أصحابه من بعده، وما كان أحدٌ من السلف يفعل ذلك.

ونحن نعلم أن كل مسلم لا يرغب فراق رسول الله ﷺ ولا ترك المقام بجواره، ولكن مصالح المسلمين في أقطار العالم الإسلامي، وقد خرجَ الصحابةُ رضوانَ الله تعالى عليهم من المدينة إما في جهاد أو غيره، ونفع الله بهم العالَم، وانتشرَ معهم الإسلام.

خامساً:

اختيار الرفقة الصالحة إن أمكن سواء كان سفرك براً أو بحراً أو جواً.

سادساً:

لا تنقل شيئاً من تربة الحرمين عنها، لأنها تنازِعُك في ذلك يوم القيامة، حيثُ أخرجتها من الفاضل إلى المفضول، ولأنه جماد لا ينفعُ ولا يضرُّ، ولم يفعله السلف.

سابعاً:

تقدم الإعلام لأهلك بمقدمك.

ثامناً:

وأهم شيء نؤكد عليك فيه أن تتذكر أنك في هذه الرحلة ورحلة الحج بمثابة وافد القوم، فلتكنْ سيرتَك فيهم نموذجاً يُحتذى فيما يرضي الله ورسوله، ونسأل الله لنا ولك القبول والتوفيق، وفي أمان الله ووداعته، وصلى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد ﷺ.

وختاماً: لا تنس أهلك وأحبابك بما يتحفهم من الهدايا بقدر ما يسعك، بدون مغالاة ولا تقتير، فالهدايا تُورث التآخي والمحبة. قال ﷺ: «والله لا تدخلوا الجنة حتى تُؤمنوا ولا تُؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدلُّكم

على ما إذا فعلتموه تحاببتُم، تهادُوا تحابُّوا: أفشوا السَّلام بينكم». جعلنا الله من المتحابين في الله، وبالله تعالى التوفيق.

الفهرس

الرسائل المدنية

سلسلة أبحاث فقهية وعلمية هادفة كتبها فضيلة الشيخ عطية محمد سالم، القاضي بالمحكمة الكبرى بالمدينة المنورة، والمدرس في المسجد النبوي.

تصدر عن مكتبة دار التراث، وتتضمن:

١ ـ التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام.

٢ ـ مع الرسول ﷺ في رمضان.

٣ ـ نكاح المتعة عبر التاريخ.

«مقدمة لرسالة أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي».

٤ ـ زكاة الحليّ.

٥ ـ تعريف عام بعموميات الإسلام (عقائد ـ عبادات ـ معاملات).

٦ ـ منهج الإسلام في كيفية المؤاخاة والتحكيم بين المسلمين.

٧ ـ أصول الخطابة والإنشاء

٨ ـ معالم على طريق الهجرة.

٩ ـ حكمة التشريع الإسلامي وحكمته وتعدد الزوجات وتحديد النسل

١٠ ـ رمضانيات.

١١ ـ آداب زيارة المسجد النبوي والسلام على رسول الله ﷺ.

١٢ ـ مع الرسول ﷺ في حجّة الوداع.

طباعة مؤسسة دار الريحاني ـ هاتف ٨١٤٩٨٨ ـ ٨١٣٩٣٠ ـ ٥/ ٨٠٤٥٦٤ ص.ب: ١٣/٥٢٧٨ تلكس RIDCO 41127 LE بيروت ـ لبنان